

## ٣- المهاجرون

إن اكتشاف العالم الجديد وتقدم الملاحة البحرية قد زاد من الهجرات وضاعف المهاجرين . وتتميز الهجرة عما سواها من الحركات بأنها سلمية ، وهي استجابة للدافع الرغبة في تحسين الأحوال الاقتصادية (١) والظروف الاجتماعية ، وغالباً ما يكون للأفلام الجديد « جاذبية » اقتصادية واجتماعية . وكما عظمت درجة التشابه ، الاندماج زاد الميل إلى التمازج الداخلي . ومخاض المهاجرون في مهجرهم مشكلات اقتصادية وسياسية ودينية ، الأمر الذي دعا الولايات المتحدة الأمريكية إلى تقييد قوانين الهجرة فقسمت المهاجرين إلى ثلاث طبقات : المرغوب . فيهم بلا قيد ولا شرط مثل سكان غرب أوروبا ، والمرغوب فيهم بشروط مثل سكان بقية أوروبا ، وغير المرغوب فيهم وهم العناصر الصفراء ، كما حددت لكل دولة عدداً سنوياً من المهاجرين . ولا ينبغي أن ننكر ما للمهاجرين من فوائد (٢) . فقد نقل المهاجرون إلى أمريكا - مع ما نقلوا - الأفكار الديمقراطية والاندماج الديني وحب الحرية ، فكانوا عوامل فعالة في النزاع بين المستعمرات ثم في الكفاح لنشر فلسفة الثورة الأمريكية بين الطبقات (٣) وكما بنقل المهاجرون معهم محاسنهم كذلك ينقلون مساوئهم .

والدبنايون أكثر أهل الشرق حباً للهجرة ورغبة في المغامرة ، ولهم جاليات نشيطة في الأمريكتين ، واصل لأطراف الجغرافية أترأ في ذلك . ويحدث أحياناً أن يعيش للمهاجرون في عزلة عن السكان الأصليين فيقوى عندهم الميل إلى الاحتفاظ باللغة والدين والتقاليد ، ويرفضون التزاوج مع السكان . وهذا بطبيعة الحال يضعف من احتكاك الحضارات (٤) . ولكن بعد مرور فترة من الزمن ترى المهاجرين ينجحون إلى الاختلاط وينبذون حياة العزلة .

## الاحتكاك الثانوي :

لا شك أن سهولة المواصلات والمخترعات الحديثة أترا كغيراً في احتكاك الحضارات . فقد نتج عن ذلك مثلاً إمكان « التعليم

## احتكاك الحضارات

للاستاذ محمد محمد علي

بقية ما نشر في العدد الماضي

## الطرق غير المنظور

تنتشر الحضارات بين الجماعات البدائية بطريق الاحتكاك الابتدائي أو الأساسي ، ولكنها تنتشر بين الحضارين بطريق الاحتكاك الثانوي والأساسي أيضاً (١)

الاحتكاك الأساسي : ويتمثل في حركات السياح والرحالة والمهاجرين والحوالين .

## ١ - السياح

وهم يبرون عما أطلق عليه تومس الرغبة في تجديد التجربة ، لأنهم من طبقة عليا - وتتأخص أعمالهم في زيارة الأماكن ذات الشهرة الواسعة ولا سيما الآثار المصرية القديمة . ويتحدثون إلى الناس ويتعرفون على أحوالهم ويدرسون حياتهم في مختلف نواحيها الاجتماعية والاقتصادية والسياسة والدينية ، ثم يعودون إلى أوطانهم بنظرة إلى الحياة جديدة وأفكار حديثة فيؤثر ذلك في التقاليد والنظم المختلفة . وقد كان للسياح أثر عظيم في احتكاك الحضارات وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية .

## ٢ - الرحالة

هناك حركة من جزء إلى آخر في نفس الإقليم ، كحركة الفلاح الأمريكي من شرق الولايات المتحدة إلى غربها ، وهي تحدث أزمة في الحياة الشخصية إذ تولد رغبة في تغيير النظم والمعادن . وهناك تنقلات من الريف إلى المدن وهذه آخذة في الزيادة حتى أن أكثر من نصف سكان الولايات المتحدة يعيشون في المدن ، وكذلك الحال في كثير من البلدان الصناعية . فالمدنية عبارة عن بوتقة تنصهر فيها الآراء وتختلط العناصر .

1, Davie : World Immigration, 1936, p. 5.

2, Duncan, p. p. 184-186.

3, Davie : p 40

4, Ibid p 39

Duncan, p.p. 176, 177. (١)

١- اختلاط وامتزاج بين الحضارة الأصلية والحضارة الجديدة ونشوء حضارة حديثة . مثال ذلك ما كان يحدث في مصر بعد الغزوات المختلفة التي كانت مصر سرية في هضمها . وما حدث في أمريكا في المصور الحديثة .

٢- ثلاثى الحضارة الأصلية وذلك في المجتمعات البدائية بسبب الانقلابات التي يحدثها المتحضرون .

٣- أن تقتبس الحضارة الأصلية من الحضارة الجديدة ما يلائمها وهذا خير المواقف في احتكاك الحضارات . وحبذا لو كانت مصر فعلت ذلك إزاء احتكاكها بالحضارة الغربية . ولكن هل في استطاعة الأمة أن تقوم بذلك ؟

٤- الفارمة : وهذه قد تكون إيجابية أى ثورة على الجديد . أو سلبية وفي ذلك إبقاء على مقومات الحضارة الأصلية ، مثال ذلك ما فعله المصريون بعد غزوة الهكسوس وغزوة الفرس ، إذ أنهم أنقوا من تقليد الغزاة . ويحدث هذا بسبب المداء بين الطرفين أو في حالة الفرض بالقوة . لكن مصر لم تستطع أن تصمد أمام الثورة بعد الفتح التركي في القرن السادس عشر ، ففرضت عليهم الحضارة الجديدة ، وضاعت بذلك شخصية مصر حتى ظهر محمد على الكبير .

#### أُسوة : الحضارة الإسلامية (١)

ضرب الإسلام بجرانه وانتشر الملون في بقاع الأرض ، ودخل الإسلام أمم كثيرة من أجناس مختلفة وعناصر متباينة . فكانت ساحة الامبراطورية الإسلامية في العصر العباسي الأول وعاء تصهر فيه العناصر وتتفاعل فيه الأجسام . هذه الأمم تختلف في الصفات الجثمانية وفي الأهواء السياسية والميول الاجتماعية . وكما يحدث تراوج واختلاط بين الأجناس ، كذلك يحدث امتزاج بين الثقافات واحتكاك بين الحضارات ، فنمت الحضارة الإسلامية على أساس العلم الواسع بكافة شؤون الحياة من طب وهندسة وجغرافية ونظام حكم وأدب لغة .. كانت هنالك أربع حضارات : الفارسية والهندية والإفريقية والمربية . وكانت كل ثقافة في أول

بالرسالة « الذي ظهر حديثا . كما لعبت الصحافة والإذاعة دوراً عظيماً في هذا المضمار . وللأدب أهمية كبيرة ، إذ أن الانسان لا يتعلم لغة قوم إلا إذا أخذ فسكرة عن حضارة هؤلاء القوم (١) وفي المصور الوسطى آرت الأدب العربية في عقول أهل أوروبا وأفكارهم ، فكان لذلك أكبر الأثر في نهضة أوروبا الحديثة .

واللغة الإنجليزية أكثر اللغات انتشاراً . فقد قدر أحد العلماء في عام ١٩١٠ عدد المتكلمين بالإنجليزية بنحو ٢٧٪ من سكان هذا الكوكب (٢) ، واكثر من نصف جرائد العالم تطبع بها . ولما اخترعت أوروبا البخار سهل السفر في قطارات البر وسفن البحر وزاد اختلاط الفرج بالشرق . ولا تقتصر فوائد المخترعات على المنطقة التي اخترعت فيها بل إنها تم بقاء العالم : ومن أم ما استفادت منه الانسانية المكشوفات الحديثة في الطب . وكما أفضل الغرب على الناس أجمعين بمطعم الجدرى وكان يهلك به أطفال كثيرون (٣) . وكما من خدود جميلة بينوره نشوت

#### نتائج الارتباط

ينبع عن احتكاك الحضارات نوع من التفاعل ، فليست المسألة استمارة ، بل هنالك ظاهرة ديناميكية .. غليان ثورة ... نحننا ينتقل تيار حضارى إلى مجتمع من المجتمعات ، فلا بد من أن يواجه مقاومة في أول الأمر . وتعتمد هذه المقاومة اعتماداً كبيراً على عاملين (٤) : طبيعة المجتمع ، ومظاهر الحضارة الجديدة . فيقدر رقى المجتمع تكرون مقاومته للثورات الجديدة ، وهى قليلة في المجتمعات البدائية . ويلاحظ أن النواحي الروحية من الحضارة تلاقى مقاومة أكثر من النواحي المادية . لأن الانسان سريع في اقتباس وتقليد النواحي المادية (٥) . على أن المظاهر الجديدة يسهل اقتباسها إذا كان هنالك ما يستدعى الاقتباس وتغيير العادات ويمكن تلخيص نتائج احتكاك الحضارات فيما يأتى : (٦)

١- هنا رأى الأستاذ دكن . ويمكن القول بوجه عام إن الانسان يتعلم لغة قوم يستطيع أن يعرف شيئاً عن حضارتهم أى أن اللغة مفتاح لمعرفة شيء عن الحضارة . وإن الأطفال يتعلمون اللغة الأجنبية ولا يعرفون شيئاً عن حضارتها 2 Duran p 166

٢- كرد على : صفحة ٣٥٣-٣٥٠

4 D Forde : Hibital Economy and Society 1942 p 46

5 Notes and queries on Anthropology 1929 p 36

و منشورات الجمعية البريطانية لتقديم العلوم

Man6 magazine 1935 No 162 p 140

١- دكتور احمد أمين بك : ضحى الإسلام : الجزء الأول (١٩٣٨)

ص ١٦٦ و ١٦٧ و ٢٤٠ و ٣١٤

ماسة إلى الخيام والملابس . وفي أثناء الحرب العظيمى الأولى امتنعت  
الوارد الأوربية فلم يجد الأهالى مندوحة عن الرجوع إلى الأساليب  
الأرلى فى حياتهم . وقد لاقوا صعوبات من جراء زياتهم عادتهم .  
ومن أسوأ نتائج الاحتكاك بين الأوربيين والاسكيمو : انتشار  
الأمراض والأوبئة . فى منتصف القرن الثامن عشر هلك من  
الجدرى عدد كبير ، هذا فضلا عن انتشار مرض السل . وليس  
أدل على فداحة خطر الأوربيين من القصر الربع فى عدد السكان .  
وامد شمر الأوربيون بحطرم ، فأسرعت الداءمرك إلى عاق موانى  
جرينلند فى وجه البواخر الأوربية لسنوات ممدودات . إذف  
فاحتكاك الاسكيمو بالأوربيين لم يكن فى صالحهم وانقدال جرينفول  
إن إسكيمو لبرادر فى طريق الغناء . وقد بدأت حكومة كندا  
تولى الأهالى هناك عناية واهتماما إلا أنه بشك فى تممير الاسكيمو  
إلى زمن طويل .

### زنجوج الباتو بجنوب أفريقيا (١)

كان للبشرىن كبير الفضل فى الاحتكاك بين الأوربيين  
وزنجوج جنوب إفريقيا ، إذ عملوا على إدخال المسيحية على أساس  
القضاء على الوثنية ، وقبع البشرىن التجار وأصحاب الحرف . وقد  
انقسم الأهالى حبال الحضارة الأوربية إلى ثلاثة أقسام : فريق  
بقى على حاله الأولى فى مستوى الحضارة الأصلية ، وفريق آخر  
غالى فى الاقتباس والتقليد . وبينها فريق ثالث آران يمشى وسطا  
ياخذ من كل ما يشاء . وتتلخص نتائج الاحتكاك فيما بلى :

### النتائج الاقتصادية

- ١ - تحسنت الأحوال وارتفع مستوى معيشة الفرد .
- ٢ - سهلت عملية الصيد بسبب وجود البنادق التى جلبها التجار .
- ٣ - حدوث التبادل بين الأهالى والتجار . يأتى التجار  
بالبضائع الأوربية ويبيع الأهالى منتجاتهم التى درت عليهم  
رزقا كريما .
- ٤ - ظهور صناعات جديدة ، فانتشرت ماكينات الخياطة  
تعمل عليها النساء فى المنازل .

(١) تلخيص للفصل الثانى من :

الأمر تشق انفسها جدولا خاصا له طعمه ولونه ثم لم تلبث أن التقت  
بجيمما وكونت نهرا عظيما . وقد التقت فى هذا الميدان الرحيب  
الأديان الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام . واختلف الناس  
فمنهم من يرد جدولا معينكا ومنهم من ينهل من أكثر من جدول .  
وقد عمل امتزاج الثقافات بأجلى معانيه فى ثلاثة أعلام : الجاحظ ،  
وابن قتيبة وأبو حنيفة الدينورى . كان للحضارة الفارسية الفضل  
فى إنشاء منصب الوزارة وكان غالبا يستند إلى الفرس ، ولم يكن  
ممر وفا قبل العباسيين . وتمثلت العادات الفارسية فى النفوس  
مثل عيد النيروز ولبس القانسوة وبجالمس اللهـو والغناء . وقد  
لاحظ ابن خلدون أن حملة العلم فى الدولة الإسلامية كان أكثرهم  
من العجم لأن العلوم من الصناعات وهى من حصائص الحضرة .  
ومن هؤلاء سيديبه وأبو حنيفة النيمان وبشار بن برد والكسائى  
والفراء وغيرهم . أما تأثير الحضارة الهندية فكان فى شيوخ الإلهيات  
(المقالات الدينية) والرياضيات والنجوم والقصاص والحكم .  
ويذهب كثير من الباحثين إلى أن الهندودم واضعوا الشطرنج  
ومنهم أخذ السلون وانتشر فى العالم . أما عن الحضارة اليونانية  
فقد كانت هناك مدارس ومراكز ثقافية أشهرها فى الإسكندرية  
وحران . وقد نقل الكثير من فلسفة اليونان وعلومهم فى الفلسفة  
والطب والمنطق . وامل أهم ما نتج عن احتكاك الحضارات ما أخذه  
الخلفاء من مظاهر الأبهة ودلائل النعيم فى قصورهم ، فكان الخليفة  
لا يقل عظمة من قيصر الروم أو ملك الفرس .

### الاسكيمو (١)

حدث الاحتكاك بين الأوربيين والاسكيمو فى شمال أمريكا  
الشمالية عن طريق سيادى الحيوانات ذات الفراء . وأقبل  
التجار ، فباعوا للأهالى أسلحة حديثة أحسن من تلك القديمة  
فأدى ذلك إلى نقص فى الكاربيو فى جرينلند ودلتنا نهرا ما كترى  
لكثرة الصيد مما أثر فى غذاء الأهالى . وقد آتى الأوربيون  
بالكالبات مثل الشاى والسكر والطباق والصابون - فضلا عن  
الألحة . ولكى يحصل الأهالى على هذه الأشياء . أصبح لزاما  
عليهم أن يبيعوا الجلود اللازمة لهم فى حياتهم وأصبحت الحاجة

٦ - أخذ الأهل طارفاً جديدة في المحافظة على حيواناتهم  
والعناية بها وأصبح الحفن واجبا .

### التأثير العربي

- ١ - انتشرت اللغة الإنجليزية وذلك عن طريق التعليم .
- ٢ - تفككت روابط الأسرة بسبب تنقل الأهل وراء  
الصناعة ، وكثيرا ما كانت الزوجة تسام طول انتظار زوجها وتتخذ  
لها خليلا .
- ٣ - استنشق الشبان نسيم الحرية مما أودى بالسلمة الأبوية  
فانغمسوا في اللهو وركبوا خيول المجون ، وتأنقوا لجذب أنظار  
المدارى اللاتنى يقعن في شباك الإغراء غالبا .
- ٤ - تغير موقف القبيلة إزاء الفتيات إذ كانت المدراء التي  
تحمل تلاقى عقوبات شديدة وتذوق ألوان الاضطهاد ، وكان  
الأطفال غير الشرعيين يقتلون . أما الآن فإن هؤلاء المدارى  
( اللاتنى يحملن ) توجه إليهن هتافية ؛ وكذلك أطاهلن لهم الحق  
في الحياة الطبيعية ولو أن لدائهم بميرورهم . وأصبحت هذه  
الأمور تقع كأنها أمور عادية لا غرابة فيها .
- ٥ - لم يبد هناك احترام للتقاليد ، وأصبح للشباب من  
الجنس حرية الاختيار في الزواج .

### الشرق والغرب (١)

كان الاسكندر الأكبر وحروره فضل كبير في اختلاط الشرق  
والغرب . وعندما انتقلت الآداب العربية إلى أوروبا في المصور  
الوسطى أثرت في نهضة الآداب والفنون - خصوصا بعد أن وصل  
المسلمون إلى جبال البرانس . أى أن التريبيين أخذوا من الشرقيين  
ما نفهم يوم نهضهم . وزاد الاختلاط شدة سهولة المواصلات  
وانتشار الحضارات وهجرات الشرقيين خصوصا أهل الشام إلى  
العالم الجديد . وقد استفاد الشرق كثيرا من الغرب في المصور  
الحديثة إذ تعلم الشرقيون : معنى الوطن والوطنية وحب الجنس  
والقومية ، ونقلوا بعض الأوضاع الاجتماعية والسياسية . وأخذوا  
أسول الصحافة التي كان لها أثر عظيم في إدخال الأفكار الجديدة  
وتبديلها من النظم القديمة . وتجلى أثر ذلك واضحا في تنوير  
ذهان الشرقيين وثورهم على الاستعمار في الستين الاخيرة وذلك

١ - تلخيص من كتاب الأستاذ محمد كرد عل : الاسلام والحضارة  
العربية : الجزء الأول .

لانتشار الآراء الثورية .

وكان احتكاك المصريين بالفرنسيين في القرن الثامن  
عشر أول احتكاك علمي مع الفرنجة . ومن كانوا طليمة المستفيدين  
مؤرخ مصر في ذلك الحين الشيخ عبد الرحمن الجبرتي ، وشيخ  
الأزهر حينئذ الشيخ حسن المطار ؛ إذ علموا بعض علماء الحملة  
الفرنسية اللغة العربية وتعلموا منهم ما لم يكن لهم به عهد من -  
العلوم السادية . وقد أبدع الجبرتي - في تاريخه - في التعبير عن  
شعور الشرقيين تجاه هذه العلوم ، وقام مربيق من علماء الحملة  
بدراسة مصر من كافة نواحيها . ويعتبر كتاب «وصف مصر»  
أوفى دراسة وأحسن مرجع للحياة المصرية في ذلك الحين . ولما  
تولى محمد علي الكبير حكم مصر أوحى إليه ذكاؤه أن الانمزال  
مبعت التأخر فأبقى على التعليم في الأزهر وأدخل التعليم الحديث  
وأرسل في استدعاء الأساتذة والأطباء ، بيد أنه رغب في الاستغناء  
عن الأجانب والأخذ عن الغرب مباشرة فأوفد البعثات العلمية  
إلى إيطاليا ثم فرنسا وإنجلترا وألمانيا وغيرها . وقد نهج محمد علي  
خطة حميدة وهي الأخذ بمحاسن الغرب مع الإبقاء على تراث  
الشرق بل إحيائه . على أن احتكاك الشرق بالغرب قد جلب  
الكثير من الساوى منها انتشار المسكرات وفتح أبواب الفجور  
والاستخفاف بأمر الدين .

### خاتمة:

بعد دراسة احتكاك الحضارات وعرض أمثلة له ، يمكن  
التول بوجه عام إنه ليس في مقدور أمة أن تعيش بمزل عن سائر  
الأمم فلا بد من التأثير والتأثر . ومما هو جدير بالذكر أن  
للاحتكاك مساوئه ومحاسنه إلا أن الأمة الحريصة هي التي تستفيد  
من تحارب غيرها ، وتعمل على أن تتخلص مما طرأ عليها من -  
أضرار وشرور نتيجة احتكاك الحضارات .  
وقد نتج عن ذلك - نتيجة ما اتصف به الانسان من الهجرة  
والتقليد كما ذكرنا في بداية هذا البحث - أنه لم تمد هناك حدود  
فاصة بين الأجناس البشرية ، لذا قيل بحق: إن الجغرافيا الجنسية  
لا تملك الحدود . ويظهر ذلك بجملاء في اختلاط العناصر وامتزاج  
الدماء في ربوع وادي النيل .

محمد محمد علي

( ليسانس في الآداب )